الحياة الاقتصادية في بلاد الحجاز

من سنة (420هـ - 557 هـ)

الباحث

فراس زبون شلش الجيزاني

ماجستير/معهدالتاريخ

للدراسات العليا العربي

(خلاصة البحث)

تهفو أفئدة المسلمين في شتى بقاع الأرض إلى الأراضي المقدسة حيث الكعبة الشريفة في مكة ومثوى النبي الكريم في المدينة المنورة ولعل في هذه الحقائق حوافز كافية للبحث في تاريخ الحجاز عبر العصور الإسلامية المختلفة. ولكنَّ قلة اهتمام المصادر التاريخية بالبحث في جوانب الحياة الاقتصادية للحجاز عبر عصور التاريخ باستثناء إشارات متناثرة هنا وهناك لا تخلو من تأثير الجوانب السياسية التي مرت بالحجاز ، فلا يأتي ذكر الحجاز الا فيما يتعلق بقوافل الحجاج وشؤون الحرم المكي والكعبة الشريفة لقد دفعني ذلك إلى دراسة الحياة الاقتصادية في الحجاز في عهد الخلافة الفاطمية الممتدة بين عامي (420هـ الى 557هـ) وهو موضوع أغفلت التعمق في دراسته الكثير من الدراسات والبحوث ولم تشر إلى جوانبه المختلفة إلا قليلاً ، فضلاً عن كونه يمثل موضوعاً حيوياً تدور حوله تساؤلات عدة تتطلب إجابات عملية دقيقة تحل الإشكالات عن طريق المعلومات الموثقة من المصادر التي تناولت هذا الموضوع .

إن دراسة الجوانب الاقتصادية في التاريخ العربي الإسلامي هي دراسة مهمة في تناول الأحداث التاريخية لان معظم المؤرخين ركزوا في ذكر التاريخ الإسلامي على

الأحداث السياسية المهمة ، لذلك اتسم هذا التاريخ بالصبغة السياسية التي تدور حول العلاقة بين الخليفة باعتباره خليفة المسلمين وبين الجهات المعادية له ...

المقدمة

لقد تناولت في بحثي(الحياة الاقتصادية في بلاد الحجاز للمدة من سنة 420 هـ/ 1029م – 557هـ / 1160م) ، وهي تغطي حقبة تاريخية تقدر بـ (مئة وسبع وثلاثين سنه) ، أن هذه الحقبة من تاريخ الحجاز الاقتصادية وهي حقبة مهمة وفعالة تطور فيها الجانب الاقتصادي وانعكس ايجابياً على الجوانب السياسية والاجتماعية والعسكرية والثقافية . تضمن البحث على مقدمة و ثلاثة مباحث هي : المبحث الأول : النشاط الزراعي في بلاد الحجاز .المبحث الثاني : أحوال الحجاز المناخية في ضوء مشاهدات ابن جبير .المبحث الثالث :الحرف والصناعات . لتأتي بعد ذلك خاتمة لأهم النتائج التي توصلت إليها ، أُدرجت بعدها الهوامش ثم المصادر والمراجع وأخيرا الخلاصة بالانكليزية .

المبحث الأول

أولاً :النشاط الزراعي في بلاد الحجاز

يتأثر الوضع الاقتصادي عادة بطبيعة الإقليم ، إذ إن للطبيعة أثراً كبيراً في تحديد خيرات الإقليم وإنتاجه الزراعي والصناعي والحيواني ، وقد أثرت طبيعة هذا الإقليم في تكيف الاقتصاد لسكانه في العصر السابق لظهور الإسلام ، وفي تحديد موارده ، فاعتمد سكان المناطق الصحراوية بشكل رئيس على الرعي المتنقل لإنعامهم ومواشيهم وعلى التجارة [1]. في حين اعتمد سكان المناطق الخصبة على الزراعة ولم يهملوا التجارة، كما كان عندهم إلمام بالصناعة، فكانوا أوفر حظاً من البدو.

وكانت نسبة البدو المنتقلين أكثر من نسبة الحضر المستقرين والمرتبطين بالأرض ، في المرحلة السابقة لظهور الإسلام بقليل ، تطورت وسائل الإنتاج والقوة المنتجة ، وتوسعت أإعمال الري الاصطناعي ، وازداد الإنتاج الزراعي ، ونمت المدن ، وتحول العديد من القرى إلى حواضر مدنية ، ونظمت الأسواق الموسمية العامة [2]. وخاصة سكان الحواضر في الزراعة ، غير إن هذا لا يجب إن يدفع بنا إلى عطاء الإنتاج الزراعي دوراً اكبر مما كان عليه وذلك باعتباره – إنتاجاً لإغراض التبادل الواسع – لأنه وإذا صح اعتباره إنتاج تبادل ، فإنه تبادل داخلي في الأعم ، وتصريف ما يزيد عن الحاجة في الأسواق العربية ، وليس لغرض التجارة الخارجية ذلك إن طبيعة هذا الإنتاج تتأثر بالبيئة التي لا تخلق فائضاً عن الحاجة كي يصدر إلى الخارج [3] ، والسبب الذي يجعلنا نتبنى هذا الرأي هو ندرة الماء في شبه الجزيرة العربية ، ولكن هذه البيئة الشحيحة بالماء وان أثرت على الزراعة فإنها دفعت العرب أيضاً إلى الاحتيال على البيئة فكانوا يسعون إلى الاستفادة منها ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً . ولعل المسألة التي تستحق إن تذكر هنا ، هي إن الزراعة في بلاد اليمن من حيث الإنتاج والتنظيم كانت أكثر حيوية من الزراعة وسط الجزيرة والحجاز [4].

و الزراعة في الحجاز من حيث امتلاك الأرض بشكل ملكية فردية وتحقيق فائض بسيط ، تجعلنا نرجح أنها قد عملت على خلق تفاوت في الثروة وعززت الانقسام بين من يمتلك الأرض وبين سواه وان كان هذا التفاوت أولياً و لم يصل إلى درجة التناقض الطبقي .

يقول البلاذري :"وكانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها فلما فتحت مكة واسلم أهلها طمعت ثقيف فيها حتى إذا فتحت الطائف أقرت في أيدي المكيين" [5].

الزراعة والأرض

شجع الإسلام الزراعة وعدها النبي (ﷺ) من أطيب كسب المؤمن [6]، وقد ذهب الشيباني فيما بعد الى إن الزراعة أفضل من التجارة لأنها اعم نفعاً ، فبعمل الزراعة يحصل المرء ويقيم صلبه ، ويتقوى على الطاعة وبالتجارة لا يحصل ذلك ولكن ينمو المال[7] ، وقد اكتسبت الزراعة تلك الأهمية لان النبي (ﷺ) قد زرع في الجرف وكان يقول : اطلبوا الرزق تحت خبايا الأرض [8] ، كان أكثر ألصحابه يعملون في الأرض ، فسلمان كان عاملاً زراعياً عند احد يهود المدينة وقد امتلك حريته بعد إن أحيا ثلاثمائة نخلة ودفع أربعين أوقية [9] ، والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يشهد انه عمل في مجال الزراعة فيقول ((جئت إلى حائط أو بستان فقال لي صاحبه ، دلواً وتمره ، فدلوت دلوا بتمره ، فملأت كفي ثم شربت من الماء ثم جئت إلى رسول الله (ﷺ) بملء كفي فأكل بعضه وأكلت بعضه[10] .

توافر الأرض الزراعية الخصبة

تميز الظهير الزراعي لجدة بالكثير من القرى الزراعية التي وجدت في الأودية المحيطة بجدة والتابعة لها في الوقت نفسه، وهذه الأودية لا يقل عددها بحال من الأحوال عن عشرين وادياً، منها وادي قويزة، ووادي عشير، ووادي قوص (أو قوس)، ووادي مشوب، ووادي الجفنة، ووادي كنانة، ووادي فاطمة، ووادي الفج، ووادي البغدادية، ووادي الشعبة، ووادي غليل، ووادي ليه، ووادي بني جابر ووادي بني مالك، ووادي مريخ، ووادي خليص، وأخيرا وادي نخلة الشامية. ونظرا لصعوبة الحديث عن هذه الأودية كلها، ومراعاة لطبيعة البحث، فإننا سنتناول بعضها بالذكر، إما لشهرتها أكثر من غيرها وتردد اسمها في كثير من المصادر المعاصرة، أو بسبب كبر مساحتها. ويشير ناصر خسرو الذي زار بلاد العرب في 442هـ انهم يستخدمون في

زراعتهم الجمال لا الثيران وزراعتهم قليلة [11]، وأجرة الرجل في اليوم عشر سيرات [12]، وفي اليمامة فان حكامها لهم ثلاثون عبدا زنجي وحبشي يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين وهم لا يأخذون عشور من الرعية [13] .

جذور الإقطاع في الحجاز

يمكن لنا القول إن أصل جذر الإقطاع في بعض المناطق العربية باستثناء اليمن قد جاء عن طريق الأجنبي ، فمثلاً ذوو الأكال من وائل "وهم أشراف كانت الملوك تقطعهم القطائع ، فأما مضر فكانوا لقاحالا يدينون للملوك إلا بعض تميم ممن كان باليمامة وما صاقبها ، فذوو الأكال : قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله ذي الجدين ابن عمرو بن الحارث بن همام بن مره بن ذهل بن شيبان ، وكان كسرى أطعمه الابلة وثمانين قرية من قراها "[14].

وكان العبيد يستخدمون في الزراعة ، وفي إحياء الأرضي الموات [15]، وربما كانت جاذبية الإقطاع في تلك المرحلة قد دفعت بأبي سفيان إلى امتلاك ضيعة في الشام [16] . ولعل فكرة الملكية التي كانت واضحة في المناطق الزراعية ، يمكن أن تقودنا إلى بعض الأمور فيما يتعلق بجذور الإقطاع في الحجاز ، فمن المعروف إن أكثر من شخص قد امتلك أرضاً في الطائف [17] ، كما كانت ملكية الأرض الزراعية الخاصة بارزة في يثرب – المدينة – [18].

جاز لنا إن نرجع وجود جذور أولى للإقطاع البسيط القائم على الاستثمار غير الواسع للأرض وان كان استثماراً يستهدف الربح وتحقيق فائض للتبادل المحلي ، مع ملاحظة إن هذا الاستثمار لا يقوم على عبودية الفلاح ، وإنما الاستفادة من عمل الإجراء والعبيد في حدود الإمكان وطاقة الأرض الزراعية ، وهي محدودة عموماً في الحجاز ، وما قلناه ليس بعيداً عن الواقع ، لان لدينا إشارات عديدة تثبت لنا إن

عرب ما قبل الإسلام قد عرفوا قيمة الأرض المقطعة بدليل إن رؤساء القبائل العربية قد سألوا النبي (ﷺ) مراراً عديدة[19] ، إقطاع أراض لهم ففعل مما يشير الى معرفتهم أهمية الأرض [20] ، ولنا إن نشير بأن العرب قبل الإسلام قد ذهبوا إلى القول بأن من أحيا أرضاً ميتة صارت له [21] . وبصورة عامة لا نجد في الحجاز أو نجد أو المنطقة العربية الشرقية ملاكاً كبارا على نحو ما نجدة في اليمن أو في بقية العربية الجنوبية ، وذلك لصغر مساحة الأرضيين التي تسقى بالمطر أو المياه الأرضية في هذه البلاد نتيجة شحة الماء ، ولهذا لم يظهر في الحجاز أو في نجد أو ارض العروض مزارعون كبار ، لهم عدد كبير من الفلاحين والرقيق يستغلونهم في استثمار الأرض[22].

أنظمة الري

السدود : لم يقف سكان الحجاز حالهم حال سكان الجزيرة العربية الأخرى مكتوفي الأيدي أمام عوامل الطبيعة بل عملوا للحد منها . فقد جرت في كل إنحاء الجزيرة العربية أعمال زراعية يقوم بها مستقرون دائمون مع ارض ، ومن أنصاف مستقرين ، مسخرين المياه الجوفية والمياه السطحية بوسائل متقدمة ، بالقياس إلى مرحلتهم لإنتاج حاجاتهم المباشرة [23] . ففي الأمكنة التي تهطل فيها الإمطار بغزارة كما في اليمن بنى العرب السدود وحفروا الآبار ، وحبسوا مياه السيول لاستعمالها في الري خلال أيام الجفاف، وحفروا الآبار في الوديان والواحات وبعض السهول الساحلية لاستثمار موارد المياه الجوفية . عندما تكون الأمطار أو تساقطها يكون بصورة غير منتظمة ، كما هو الوضع في نجد والحجاز واليمامة ، فقد اعتمدت الزراعة على الري بصورة أساسية . ومن أهم السدود هو سد مأرب في بلاد اليمن ، وهو يشكل العمود الفقري لتنظيم الري الاصطناعي وتطور الزراعة الكثيفة [24] ، ويبدو إن السبئيين بنوه لهدفين : هما حماية مدنهم وقراهم ومزارعهم من السيول الجارفة التي

كانت تشهدها المنطقة بين الحين والأخر ، والتي كانت تزيد عن حاجة الناس . والمعروف إن السيل كان ينحدر من أعالي الجبل هابطاً على رأسه حتى يهلك الزرع ويسوق من حملته البناء [25] ، أما الهدف الأخر فهو خزن المياه ورفعها وتوزيعها حسب الحاجة لري ما يجاور مدينتهم من الحقول والأراضي الخصبة التربة [26].

القنوات

استخدم العرب الجنوبيين بخاصة ، الوسائل الصناعية للسيطرة على المياه والتحكم بها فأنشأوا المجاري الصناعية (القنوات) لتجري فيها بقدر وحسب الحاجة ، فلا تسيل وتذهب عبثاً وهذا النظام على نوعين :

الأول: نظام القنوات السطحية: وهو عبارة عن شبكة من القنوات أو الجداول التي تحفر على سطح الأرض لتصريف مياه السيول والينابيع والآبار، وتمتد أحياناً مسافات طويلة أو قصيرة وفقاً للحاجة. حتى يتم إيصال المياه إلى جميع الحقول والبساتين [27].

ثانياً: نظام القنوات الجوفية: وهو عبارة عن أنفاق تحفر في باطن الأرض أو مجموعة من الآبار يتصل بعضها ببعض بواسطة نفق تحت الأرض، يستعمل لجر المياه من مصادرها في باطن الأرض إلى أماكن استعمالها في القرى والمدن والحقول ، وتعتمد القناة على المخزون الجوفي للمياه وطبيعة التربة، لذا تختلف كمية المياه فيها من منطقة إلى أخرى وتزداد هذه الكمية في موسم الإمطار وتقل في موسم الجفاف [28] ، وقد انتشرت هذه القنوات في الحجاز وفي منطقة القصيم ، وكان في البحرين عدد من القنوات الجوفية ، وتكثر في عمان ، وفي القطيف وتسمى الكهاريز.

المحاصيل الزراعية

بلاد الحجاز فقيرة جداً في حاصلاتها الزراعية التي لا تسد حاجات سكانها، الأمر الذي يجعلها في حاجة دائمة للمواد الغذائية من الخارج ، أما حاصلاتها الحيوانية

فإنها تسد حاجه سكانها وتكون أهم مورد من موارد حياتهم ، اتسمت نظره البدوي إلى الزراعة بعدم الاحترام ، فجرير يهجو بني حنيفة قائلاً:

أصحاب نخل وحيطان ومزروعة سيوفهم خشب فيها مساحيها(29)

إلا إن بعض الاعتبارات دفعت العرب ولاسيما سكان الحواضر إلى ممارسة الزراعة.لا بل إن بعض سكان الحجاز قد حفروا الآبار وزرعوا الكروم والنخيل وبعض الفواكه (30) . في حين اشتهرت اليمامة بكثرة العيون وإنتاج الحنطة والتمر . حيث يحظى النخيل وما ينتجه من تمر بالأهمية الكبيرة في بلاد الحجاز، وتعد هذه الشجرة من أوسع النباتات انتشاراً في بلاد العرب، إذ لا تكاد منطقة تخلو منها وان كانت تختلف في كثافة زراعتها وجودة ثمرها من منطقة إلى أخرى. وقد شكلت التمور الغذاء الرئيس لسكان الجزيرة عامة وأهل الحجاز خاصة ، وهي غنية بعناصرها الغذائية والدوائية وتستعمل في صناعة الدبس والخمر ، ولعل الفوائد جمة لهذه الشجرة هي التي دفعت بعض الإعراب إلى تقديسها (31).

وكان العربي يتناول التمر مع شئ من حليب النوق أو لحم الإبل في المناسبات المهمة ، ويصنع من نواها بعد دقها علفاً لإبله ، ويتجلى اهتمام العرب قبل الإسلام بالنخيل من خلال كثرة ترددها في إشعارهم على مستوى الطبقات الاجتماعية المختلفة (32).

يقول امرؤ ألقيس (33) :

وتيماء لم يترك بها جذع نخله ولا آطما الا مشيدا يجندل

ويشبه في قصيده أخرى ثياب الحسان الملونة ، بلون التمر الذي لم يكتمل نضجه

علون بانطاكية فوق عقمة كجرمة نخل او كجنة يثرب

ومن بين الدلالات اللغوية إن مفردة نخل ، وهي من المصدر نَخَلَ ، الذي يفيد استخلاص الشئ الطيب من غيره من الشوائب واستقصاء فضله ، وعليه تكون هذه الشجرة خلاصة الشجر كله . وأشار القرآن الكريم في آياته إلى أوضاع العرب في المرحلة التي سبقت ظهور الإسلام حيث ورد قوله تعالى (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) وقال تعالى (وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) وقوله تعالى : (أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ) [34]، ونسبت للنخلة مواضع عديدة في بلاد العرب مثل نخل[35] ، نخله الشامية ، نخله اليمامة [36] ، ونخله [37] .

ويفخر لبيد في معلقته بغرسة له ويشبهها ، اذا رفعت رأسها بنخلة طويلة :

أسهلت وانتصبت كجذع من منيقة جرداء يحصد دونها جدمها

وظهرت الأعناب بشكل واسع في زخارف سكان الجزيرة العربية ، وقد نالت الأعناب شهرة بفعل أنها فاكهة طيبة الطعم ومصدر لصناعة الخمور ، والعنب أنواع منه. الجرشي [38] ، والغريب [39] ، والحمنان [40].

ولشجر النخل فوائد عديدة منها : استعمال جذورها أعمدة للمنازل وحمالات لسقوفها ، ويستعمل سعفها في سقوف المنازل أيضاً ، ويصنع من خوصها القفف ، وتقدم نواتها علف للإبل بعد دقة . ويشكل النخيل في اقتصاد بلاد العرب ثروة ورأس مال ، كالجمال تماماً ، فهي تدر على صاحبها ربحاً وفيراً ، ويعد امتلاك النخل علامة الغني والثراء وكان الإعراب يأتون أهل الريف بما عندهم من وبر ومن محاصيل البوادي ، ليبادلوا بالتمر والدقيق ، فيكسب أصحاب النخيل أرباحاً من بيعهم للتمور وأكثر العرب يأكل التمر بدلاً من اللحم [41] .والنخلة هي سيدة المزروعات في الجزيرة العربية بصورة عامة ، ونجد بصورة خاصة ، بل تكاد تكون النبات المنفرد بالزرع في

أكثر الأمكنة ، ولا ينافسها نبات آخر ، ولا تخلو مدينة ولا قرية من زراعتها ، ومن ابرز هذه المناطق وادي الرمة في شمال الحجاز .

وتأتي الحنطة والشعير في الدرجة الثانية من حيث الأهمية ، بعد التمور كمصدر أساس للغذاء عند العرب،ويحتل القمح المرتبة الأولى بينها ويزرع في بطون الأودية وواحاتها بسبب خصوبة التربة. ويعود الفضل في خصوبة التربة كون الحجاز ذات الواحات الكثيرة المتصلة مع مياه وادي الرمة في جوف الأرض وعلى سطحها والى نزوح المياه من أعالي جبل شمر[42].

يزرع القمح شتاءً في المناطق الشمالية والوسطى ، وصيفاً في المناطق الجنوبية تبعاً لاختلاف تساقط الإمطار ، ويحصد المحصول في نهاية الموسم ، ويداس لفصل الحب عن القشر ، ثم يذرى باليد أو بالمذراة ، ثم تجمع الحبوب وتخزن ، يطحن قسم منها [43] .

ويأتي الشعير في المرتبة الثانية في قائمة الحبوب ، ويعد من أكثرها انتفاعاً به في الجزيرة العربية ، وهو يطحن ، ويصنع منه الخبز ، عند أكثر العرب ، ويقدم القش والحب علفاً للحيوانات . والشعير أنواع منه العربي وهو ابيض وحبه كبير ، والحبشي وهو اسود الحب [44]. وزرع بعض العرب الدخن ، وهو حبوب تشبه الذرة إلا أنها اصغر منها ولا تحتاج زراعتها إلى عناية كبيرة ، فيكتفي الفلاح ينثر بذورها في الأراضي البعلية وبخاصة في القيعان والسهول الرملية ، فتنبت في غضون ثلاثة أشهر ، فيحصد وتداس وتذرى كالقمح ، ويصنع من دقيقها الخبز الذي يعد مصدراً مهماً لغذاء البدو ، كما يقدم الدخن علفاً للحيوانات .

ومن بين النباتات والفواكه : السمسم وقصب السكر والرمان والموز والخوخ والسفرجل والتفاح والجوز والزنجبيل [45] ، ويعد الزيتون احد المحاصيل الموجودة في بلاد

الحجاز والبحرين وهو مصدر رئيس للزيت ، وتعد شجرته مع شجرة التين من الأشجار المباركة ، إذ باركها الله وجعل زيتها صافياً لا يؤثر فيها حر ولا برد ويكاد يضئ ولو لم تمسسه نار ، والتين من الأشجار المعروفة في الحجاز ، ويزرع في المرتفعات ولاسيما في الحجاز والبحرين ويؤكل التين طرياً كما يؤكل مجففاً يابساً [46] ، وقد أشار القران الكريم إلى هذه الشجرة مقرونة بشجرة الزيتون [47]، وقوله تعالى : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ . والتين أنواع كثيرة ، منه البري والريفي والسهلي والجبلي ، وهو اخضر اللون أو اصفر أو احمر أو اسود وبكثرة في السراة . وكانت اليمامة من المناطق الزراعية المهمة في عصر ما قبل الإسلام، وتميزت بخصوبة تربتها وبغزارة مياهها المتفجرة من الينابيع والآبار، فكثرت فيها القرى والمزارع ، واشتهر وادي حنيفة ، وهو احد أوديتها الخصبة ، بكثرة مياهه وخصوبته ، وأدت الواحات دوراً متمماً ومهماً في تنمية اقتصاد بلاد العرب قبل الإسلام ، لا يقل شأناً عن دور المناطق الزراعية الواسعة وتتناثر في جبل طئ وشمر وأواسط الحجاز ووادي الدواسر ، والإحساء وتنتشر في ربوعها قرى عامرة وأسواق تجارية ، وحصون ومحطات للقوافل التجارية ، وتسكنها قبائل متحضرة .اعتمدت على الزراعة مورداً رئيساً في حياتها ، وتحولت بعض الواحات إلى مدن ومراكز حضارية كبرى توجد في المناطق الوسطى والمناطق الشرقية والجنوبية من صحراء الحجاز [48]،وأشهرها واحات القصيم وجبل شمر والدواسر ووادي الرمة وحائل ، وهذه الواحات انتشرت فيها مزارع أو مروج خضراء وتشكل عدداً كبيراً من الملاجئ في الصحراء ، ومن ثم نشأت المدن الزراعية حول هذه الواحات ، وقد قدر لها إن تلعب دوراً في الإسلام[49] .

ثانياً: الرعي وتربية الحيوانات

شكل الرعي ، بنوعيه الثابت والمتنقل، المورد الاقتصادي الأساس للرعاة البدو وهم سكان البادية ، في القسم الأكبر من الحجاز ، وذلك بفعل تأثير الطبيعة الجغرافية . وهو احد ركائز اقتصاد بلاد العرب ، فالرعي الثابت هو الذي مارسه سكان بعض القرى والواحات ، حيث يخرج الرعاة صباحاً بالماشية إلى المراعي القريبة ثم يعودون بها مساءً إلى حظائرها . فهم يملكون الدواب والمواشي ويقيمون في الخيام(50) .

وتختلف مناطق الرعي من حيث الخصوبة والجودة بين منطقة وأخرى، فتمتاز المناطق الشمالية بخصوبة تربتها وجودة مراعيها، وتنمو في وسط الحجاز أعشاب كثيرة وشجيرات في الحقول وفي بعض الأودية، ولكن بكثافة اقل من المناطق الأخرى وذلك بفعل قلة الإمطار وندرتها احياناً(51).

والحجاز مشهورة بمراعيها الجيدة ، وفيها الكثير من العيون الغزيرة المياه ، والتي تساعد على نمو الإعشاب والنباتات ، ثم إن انتشار الواحات في أسفل سفوح المرتفعات يعد عاملاً أخر ساعد على غنى المراعي(52).

وتتنوع المراعي والنباتات في المناطق الغربية والجنوبية الغربية ، وذلك بفعل تنوع مظاهرها الطبيعية ومقدار ما يهطل فيها من الإمطار ، وتكثر في المرتفعات وفي السواحل التي ترتفع فيها نسبة الرطوبة ، كما تكثر في المنحدرات الشرقية للمرتفعات وبخاصة في الأودية الكبيرة التي يتجنب السكان زراعتها بفعل عظم السيول وشدة تدفقها. وتنبت الإعشاب بكثافة في هذه الأودية حيث يغلب عليها النوع الثابت من الرعي ، أما الإعشاب التي تنبت في هذه المراعي فهي كثيرة متنوعة نذكر منها : العرقصان ، البقل ، الذرف ، الشقاي ، الخمخم ، اليمنة ، الزباد ، الصفراء ،

الحديت ، الاقحواي ، القت ، الخضرة ، النضئ ، السيط ، الثقات ، التمام ، العرفج ، الغمضاء ، الرمث ، الفضة ، الرغل ، الصليان ، الصقل، الدفرق ، الرقة ، الثداء ، الخطرة ، النصي ، الرخامي ، وغيرها[53].

كانت أراضي المراعي وتجمعات المياه كالآبار والينابيع على نوعين ، عامة وخاصة ، فالمراعي العامة والمشاعية لا تدخل في ملكية احد وإنما يرعى فيها كل أفراد القبيلة التي تستقر في في مناطق العشب ، وهو أمر أملته ظروف الطبيعة والتعايش معها وشكل الأساس الذي يقوم عليه المجتمع القبلي . وهذا يفسر لنا تأخر الحجاز وضعفها وبقاءها غير منتجة إلا في حدود ضيقة جداً، لذلك كان الانتقال من الجماعية يتم ببطء شديد لضعف التحاور الاقتصادي فيها ، لأنه في ظل الجماعية فأن كل شئ ملك للجماعة كالمراعي ومناطق الصيد والاحتطاب والعيون والآبار التي تكون مشاعيه بين الجميع وأراضي الحمى هي مشاع للقبيلة أو الجماعة أيضاً [54] .

فأضحى ذلك قانوناً ملازماً لرعاة البادية ، سواء في عصر ما قبل الإسلام ، أو بعد ظهوره ، على الرغم من تقلصه وإشرافه على الزوال ، ونجده ينعكس في حديث للنبي محمد(ﷺ)يقول فيه:(الناس شركاء في ثلاث : الماء والنار والكلآ) والمعروف إن النبي حرم حمى الإفراد من زعماء وغيرهم وابقي حمى الدولة والناس[55] ، ولكن تدخلت مع هذه الملكية المشاعية أراض في نطاق الملكية الخاصة طوال المدة التي تقتضيها القبيلة في منطقة أو أخرى من مناطق العشب ، وهذه الأراضي هي الإحماء التي كان الانتفاع بها قاصراً على بعض أفراد أو مجموعات من القبيلة ، ترعى إبلهم فيها وحدهم إلى جانب الانتفاع بأراضي الرعي المشاعية التي ترعى ابل القبيلة كلها ، وكان رئيس القبيلة وسادتها أو الأشخاص ذو السلطة والنفوذ فيها يتمتعون بهذا الحق ، ولكن ملكية أراضي المراعي سواء كانت مشاعية أو إحماء ، كانت مؤقتة

تستمر ما دام العشب في المنطقة ، وتزول عندما تترك القبيلة المرعى لتنتجع العشب في منطقة أخرى ، وتصبح الملكية للقبيلة التي تحل محلها . لم يكن الرعي المورد الوحيد لسكان البادية ، وإنما مارس البدو مهناً أخرى بالتوازي مع الرعي كمورد مساعد ، منها الحصول على جزء من محصول التمر المنتج في الواحات المجاورة لمناطق الرعي إما عن طريق السلب بالقوة أو عن طريق حماية السكان ومحاصيلهم كما تحصل القبائل على اجر معلوم من إرشادها للقوافل أو حمايتها أو تقديم الخدمات لها على طول الطريق التي تقع عبر أراضيها ، أو عن طريق الوساطة بين البادية والحضر وتبادل البضائع ، وهذا قد تطور إلى نوع من إقامة البدو في بعض الأراضي الواقعة على حدود الدولة بصورة دائمية بهدف الحماية من واقع انخراطه كجند مرتزقة في قوات هذه الدولة ، وقد يمارسون الزراعة أو بعض المهن في هذه الأراضي[56] .

ويرتبط بالرعي ما يقوم به البدو من تربية المواشي والحيوانات ، والحقيقة إن الطابع المميز لهذا الأسلوب كونه تابعاً بشكل مطلق للظروف الطبيعية ، ولاسيما المناخية، والتبعية للطبيعة عامل ضعف وتخلف للاقتصاد البدوي ، إضافة إلى حروب الثأر بين القبائل أو النزاعات المسلحة من اجل الحصول على المراعي و موارد المياه ، في حين كانت عوامل الاقتصاد الحضري تدفع به إلى الخضوع لقوانين تطور الاقتصاد الحضري ذاته بقدر ما كانت تقتضيه القوانين العامة لتطور المجتمع البشري[57].

اعتمد البدوي في حياته على تربية المواشي كمصدر أخر لمعيشته ، ولاسيما الإبل التي تعد من أهم تلك المصادر وأقدمها واعزها عند العرب والحليف الأول لرعاة البادية في تنقلهم ، إذ تتلاءم صفاتها مع طبيعة الجزيرة العربية عامة أكثر من غيرها .

وأهمها : الصبر على العطش ، لأنها تختزن الماء في جوفها وتعيش عليه ، كما يشكل هذا المخزون احتياطياً للإعراب في أوقات انقطاع الماء عنهم واشتداد العطش . بالإضافة إلى قدرتها على السير في المناطق الرملية بسبب طبيعة تكوين أخفافها ، وقدرتها على نقل قدر من الأحمال تعجز عن نقلها الدواب الأخرى ، فكان بإمكان البدوي والحضري التنقل مسافات بعيدة في الصحراء وحمل الإثقال معهما ، كما استعملاه في حروبهما وفي إعمالهما الزراعية .

والجمل هو الحيوان الأول الذي يتباهى به العربي ويفتخر ، وقد جعله مقاييس ثرائه وماله[58]، وبفضل الجمل اتصل العرب بعضهم بالبعض الأخر ، وقامت مستوطنات نائية في بلاد العرب ، وتكونت فيها التجارة البرية ، وانتفع العربي بلحم الإبل وحليبها وجلدها وروثها الذي جعل منها وقوداً ، وبولها في تحضير أدوات التجميل والأدوية الشافية من الحمى وبعض الطفيليات ، كما انه يقوى الشعر وينميه[59].

ويأتي الغنم والخيل وسائر المواشي في المرتب الثانية بعد الإبل، حيث تربى الأغنام ويستفيد العربي من لحومها وصوفها وألبانها، وبفعل حاجتها الدائمة إلى الماء والعلف اختص بها أهل الحضر وأصحاب المراعي .

ويربى الماعز في المناطق الجبلية وعلى التلال المنتشرة هناك ويستفيد العربي من لحومها وألبانها وجلودها وشعرها التي تصنع منه الخيام السوداء ، وكانت أنواع من الماعز تعيش في البراري ، وتقتات على الإعشاب البرية وأوراق الأشجار ، ومارس العرب تربية الأبقار في المناطق الزراعية والقريبة من مصادر المياه حيث كان المزارعون يستعملونها في حراثة الأرض ، وتشغيل المطاحن ، وينتفعون بلحومها وحليبها .

وكثرت الخيول في بلاد العرب ، وقد اشتهرت بأصالتها وجمالها ، ويعد اقتناؤها من الأمور الكمالية التي يسعى إليها العربي لتحقيق أهدافه في الغزو واللهو وممارسة الألعاب الرياضية ، لذلك كثر وجودها عند الأثرياء [60].

يتضح من هذه الميزة الجغرافية ، أن مكة منطقة وعرة تسلكها الخيول والإبل من خلال ممرات واضحة المعالم ، ذكرت مسبقاً ، وأولها من جهة المعلاة، وثانيها من جهة المسفلة ، ولشعابها طريق سالكة للراجلة وللخيول والأحمال [61].

ومن المناطق التي كان يحمل الرقيق الحبشي اليها (الحجاز واليمن)
وكانت اليمن تستورد الرقيق لحاجتها الى الايدي العاملة ولاسيما في الزراعة [62] ، ولم يكن العرب ينظرون الى هؤلاء الاحباش كرقيق ولكن كأيدي عاملة [63]، كما استخدم الرقيق في اليمن ولاسيما في عهد اسرة بني نجاح في زبيد (412–554هـ / 1021–1159م)[64].

أما الأمطار فهي الحجاز قليلة وغير كافية لري مزارعه ، غير أنه في بعض مناطقه تسيل السيول كما في الأودية التي تقع بين مكة والمدينة [65].

وكان الجدب والحر إضافة للأمراض والسيول الجارفة التي تجتاح مكة بين الحين والآخر قد أدت الى إتلاف الكثير من المواشي ، مما اخل بالثروة الحيوانية كمصدر اقتصادي مهم في حياة السكان ، سواء كان ذلك بتأثيرها في زيادة اسعار ما يباع منها ، او بقلة لحومها في الاسواق احياناً ، وفقدانها في احيان اخرى ، فضلاً عن ارتفاع اجرة النقل الذي تقوم به في العادة بعض هذه الدواب ، ومن ثم غلاء ما تنقله من مواد ومؤن [66].

المبحث الثاني

أحوال الحجاز المناخية وتأثيراتها الاقتصادية في ضوء مشاهدات ابن جبير

يشتهر مناخ الحجاز بقلة المطر "فالاخبار متوالية بمجدبته وشدة مسغبته"[67] ، وهو ما اصاب اهل الحجاز في كثير من الاعوام بالقحط وقلة الزاد وارتفاع الاسعار. وفيما يتعلق باحوال الحجاز في هذا الشان فقد قال ابن جبير الآتي :" في صباح يوم الثلاثاء الموافق الثاني والعشرين من شوال نال الجهد من اهل الحجاز واضربهم القحط واهلك مواشيهم الجدب ، لم يمطر في الربيع ولا الخريف ولا الشتاء الا مطراً طلاً غير كاف ولا شاف" [68] ، ولولا الميرة المجلوبة من اليمن من قبل السرو لكان من اتصال الجدب وغلاء السعر . وقد افرزت قسوة هذا المناخ ظاهرة مهمة المحت اليها مشاهدة ابن جبير [69] ، وهي مصانع المياه حيث كانت منتشرة بالحجاز وغيره من المواطن في الجزيرة العربية كجدة ، ونجد ، وفيد [70]. وتتطلب الدراسة ، توضيح التباين في كميات الأمطار المتساقطة على سلاسل جبال الحجاز شمالاً ، وجبال عسير في الجنوب الغربي ، فضلاً عن تباينهما في الارتفاع ويقدر متوسط كمية المطر السنوي في عسير بـ (300ملم / سنة) وهي كمية تقل بالتدريج في الاتجاه الشمالي وتصل إلى (30ملم/ سنة) في المدينة ، وإلى أقل من (20ملم / سنة) عند تبوك [71].

ومن الظواهر التي عُني برصدها في هذا الجانب الحرارة الشديدة التي اشتهر بها مناخ مكة والحجاز عموماً ، فقد ذكر "انها كان لها سطوح يستراح فها في الليل من أذى الحر"[72] ، كما اشار الى "ان الاصل في مناخ مكة حرارة قيضها وحدة سمومها" [73].

وكانت تصيب مكة السيول في بعض مواسم الحج حتى انه كان يطاف حول الكعبة سباحة ، الامر الذي دفع بالمهدي الى رفع الاماكن المنخفضة التي يسير

فيها السيل فيخرج ماء السيل خارج مكة [74] ، وفي القرن السادس الهجري وحده اصابتها السيول مرات عديدة في السنوات 528هـ ، 549هـ ، 569هـ ، 579هـ ، 593هـ[75].

وفي تتبع الاوضاع التي سادت مكة خلال القرنين الخامس والسادس المعنية بالدراسة ظهر أن الكثير من الظواهر والكوارث البيئية قد أثرت في تركيبتها السكانية، وتعد الفيضانات ، المتمثلة في السيول والامطار التي تجتاح مكة في بعض السنوات [76] ، من ابرز الكوارث البيئية التي تسببت في تناقص السكان في مكة ، وبمن ثم تخلخلت تركيبتهم الديمغرافية فيها [77] ، وتتحفنا المصادر بمعلومات وافرة عن فقدان مكة – إما بالغرق او الموت تحت الهدم – الكثير من سكانها خلال القرون المشمولة بالدراسة ، ومن ذلك – مثلاً – ما حصل سنة 528هـ حيث مطرت في مكة مدة سبعة ايام متواصلة ، مما أدى الى سقوط بعض الدور على السكان .

وعُرف عن ريح مكة تسببها احياناً في هلاك الناس ، وقد اشار المقدسي الى ذلك فقال – وهو يتحدث عن المناخ في مكة : "ويكون بالحرم حرٌّ عظيم وريح تقتل"[78] ، كما كانت الرياح سبباً في انتشار الأوبئة التي تفتك باناس في مكة [79] ، وكذلك في جفاف المياه ، ومن ثم اصابة الناس بالعطش والموت[80].

وكان للجوع والغلاء اللذين يقعان في مكة في بعض السنوات ، نتيجة لقلة الامطار او على اثر بعض الكوارث البيئية الاخرى ، دور كبير في الحد من النمو السكاني ، حيث يخلفان وراءهما الكثير من الوفيات بين افراد المجتمع المكي[81].

ومن جانب آخر فإن بعض الكوارث الطبيعية المتمثلة بالقحط والجفاف البيئي وما يترتب عليهما من انتشار المجاعات وغلاء الاسعار وتفشي الامراض والاوبئة بين الحين والآخر في اوساط المجتمع المكي ، قد اسهمت في تحجيم عدد

السكان بعد ان اجبرت عدداً من القاطنين في مكة على النزوح عنها [82] ، بيد ان قدسية مكة وشرفها العظيم من بين البقاع ، فضلاً عن بعض مظاهر الاحوال البيئية كانتا سبباً في جذب بعض السكان اليها مكة، وبالتالي التأثير على التركيبة السكانية فيها ، وفي تقليب صفحات كتب التراجم – خصوصاً المكية منها – كشف عن الكثير من الشخصيات التي قدمت للاستقرار الدائم في مكة من مختلف الاجناس خلال حقب التاريخ المختلفة ، كما كان للرخاء الذي تنعم به مكة في بعض الازمنة من جراء نزول الامطار ورغد العيش أثرٌ في تشجيع الناس على الاستقرار الدائم فيها ، او البقاء فيها مدة من الزمن [83] ، من جانب آخر فأن حياة المجاورة والاستيطان فيها لنيل شرف النزول في هذه البقعة الطاهرة قد خلقت على مر السنين أسراً كبيرة لم تلبث ان اصبحت جزءاً من المجتمع المكي ، وافادت هذا المجتمع في كثير من المجالات[84]، ومن هؤلاء –مثلاً– بنو فهد والطبريون وبنو ظهيرة والنويريون والفاسيون وبنو الضياء ، وغيرهم الكثير ممن استقر في مكة إبان العصرين الايوبي والمملوكي .

وعند النظر الى طبقات المجتمع في مكة فإن مايلاحظ هو مدى تأثير واقع البيئة وأوضاعها المتباينة في احداث بعض التغيررات على تركيبة السكان الطبقية ، فقدسية المكان – بأبعادها المختلفة – حتمت وجود بعض الطبقات في المجتمع المكي ؛ كالمجاورين والنزلاء ، الذين اصبحوا مع مرور الزمن جزءاً لا يتجزأ مع المجتمع المكي ، ورغم وجود هذه الشريحة منذ الوهلة الاولى من ظهور الاسلام [85] ، الا ان الملاحظ تزايد اعداد المجاورين عن ذي قبل – ولاسباب متعددة – خلال القرنين السابع والسادس الهجريين [86] ، كما فرضت قدسية المكان – ايضاً – وجود شريحة اخرى انضمت للتركيبة السكانية في مكة ، اولئك هم الاشخاص الذين قدموا الى مكة للقيام ببعض الوظائف والمهام الدينية والادارية والتعليمية والمهنية الموجودة في المسجد

الحرام خاصة ، وفي مكة بصفة عامة ، وقد تكاثرت اعداد هؤلاء مع تزايد الاهتمام بمكة والحرم المكي الشريف خلال العصرين الايوبي والمملوكي ، وانشاء الكثير من المرافق الخيرية المتنوعة ، مما استوجب معه وجود أناس يقومون بهذه المهام ، وادارة بعض المرافق والمنشآت .

المبحث الثالث

الحرف والصناعات

أثرت الأحوال المتباينة للبيئة في الحجاز على بعض الجوانب الاقتصادية ، فكان للطبيعة الدينية والجغرافية التي عاشتها مكة دور في تحديد مناشط السكان ، فتركزت اعمالهم – في الغالب– على ممارسة التجارة ، بعد ان ساعدهم موقع مكة الجغرافي وتقاطر الحجاج والزوار اليها كل عام على ممارسة هذا النشاط الاقتصادي المهم ، في حين قل عدد المشتغلين بالزراعة لطبيعة المنطقة الصحراوية ، وندرة المياه ، وقلة الاماكن الصالحة للزراعة فيها.

كما فرضت ظروف مكة البيئية ، وطبيعتها الدينية التركيز على بعض المهن ، ومن ذلك ما نلاحظه من كثرة المشتغلين باعمال الحلاقة [87] ، وكذلك العمل في دباغة الجلود التي اشتهرت كثيراً في مكة [88] ، ويبدو أن ما يذبح في موسم الحج من هدي قد شجع على ذلك

كما تعرض سكان مكة لخسائر مادية متنوعة على اثر بعض الكوارث البيئية التي اجتاحت المنطقة في بعض السنوات ، سيما الامطار المتواصلة او السيول الجارفة التي كانت سبباً في فقدان الكثير من الممتلكات والمدخرات المختلفة الخاصة بالقاطنين في مكة ، سواء كان ذلك بفقدانهم الدور والمنازل التي يأوون اليها ، او خسارتهم لما تحتويه هذه الاماكن من حاجياتهم ومدخراتهم المتنوعة التي تذهب مع

السيول او تفقد تحت الأنقاض، فضلاً عن خراب بعض البساتين والمزروعات الخاصة بهم[89]، ولاشك في ان المعاناة في مكة مثل الكوارث لاتقتصر على هدم المنازل وخراب الدور ، بل امتدت الى جوانب اقتصادية مهمة في حياة القاطنين في مكة ، ومن أبرزها ارتفاع أسعار العقارات بيعاً اوتأجيراً ، إضافة الى ارتفاع أسعار مواد البناء والأيدي العاملة في هذا المجال .

وكانت التقلبات البيئية سبباً في تعرض سكان مكة لعدد من المجاعات؛ بعد ان تشح المواد الغذائية المهمة او تفقد من الاسواق المكية ، وكان القحط – الذي ينتج عن جفاف الطقس وانعدام الامطار او ندرتها سنوات عديدة ، يؤدي الى المجاعات فضلاً عن الاوبئة المهلكة – [90] ، وهي من ابرز الكوارث والازمات التي تعرض لها اهل مكة آنذاك . ومما اصاب سكان مكة من شدائد معيشية إبان الحقبة التاريخية التي نتحدث عنها؛ ما حدث – مثلاً- في سنة 579هـ حيث نال اهل مكة الجهد واضربهم القحط بسبب توقف الأمطار عنهم في هذه السنة[91].

من جانب آخر فإن تأخر الامطار او عدم نزولها في بعض السنوات على بعض الاماكن التي تزود مكة بالمؤن الغذائية كان سبباً لوقوع بعض الازمات المعيشية فيها ، ومن ابرز هذه المواقع مدينة الطائف حيث تُعد مصدراً غذائياً مهماً للأسواق المكية بمنتجاتها الغذائية ، ومن الامثلة على تأثير ما يجري في الطائف على مكة ما حدث من غلاء الاسعار في مكة بعد تأخر الامطار على الطائف ستة أشهر [92] ، وكان لارتباط مكة الكبير بمصر إبان تلك المرحلة أثر عظيم في تأثر اسواقها بأية ظروف تعتري مصر ، او تؤثر على الزراعة فيها[93].

كما يزداد الغلاء وتتأزم معيشة السكان في مكة خلال مواسم الحج ، لا سيما وان اعداد الحجاج بدأت تتزايد في العصر المملوكي حتى وصلت في بعض الاوقات الى

اكثر من ستمائة الف حاج [94] ، وربما يستمر الغلاء بعد موسم الحج لاستنزاف الحجاج المواد الغذائية الموجودة في مكة ، فتخلو الاسواق، ويبقى المكيون يعانون من ضنك العيش وشدة الجوع[95] .

ذكرت بعض المصادر بعض الحرف التي يمارسها اصحابها بجوار الحرم كـ "النساجون .. وبعض اهل صنعة الخياطة" [96] ، كما اشتهر تفرد الحجاز وتفوق – لاسيما اهل مكة- على غيره من الاقاليم بصناعة الحلوى في الاعياد والمناسبات الدينية في الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، وقد وصف ذلك ابن جبير بقوله : "واما الحلوى فيصنع منها انواع غريبة من العسل والسكر المعقود على صفات شتى .. ولم يشاهد احد اكمل منظراً اكمل منها لابمصر ولا بسواها.." ، كما يكشف لنا ابن جبير عن ممارسة اهل مكة لبعض الصناعات اليدوية كالعباءات والشمل والملاحف وما أشبه ، وكانوا يقايضون بها بما يجلبه اهل السرو من ميرة كل عام ، ويبدو انه كان هناك من يحترف صناعة الثياب والعطارة بالحجاز ، وانه كانت سوق دائمة في مكة لبيع منتجات هذه الصناعة عند باب بني شيبة[97].

ومن هذه الحرف والصناعات

اولاً : الخياطة

تتوفر المنسوجات في المدن الحجازية . إما عن طريق الاستيراد من الخارج وإما من الإنتاج المحلي، وقد وجدت حرفة الخياطة التي تعتمد بالدرجة الأولى على توفير الأقمشة والمنسوجات التي تستخدم في هذه الحرفة. وقد أشارت بعض المصادر إلى وجود مهنيين في كل من مكة والمدينة يقومون بإحضار الأقمشة وبيعها إلى الخياطين للاستمرار في ممارسة مهنتهم ، علماً أن أولئك الحرفين لم يكونوا من أهل الحجاز فقط ، وإنما كانوا يأتون إلى أسواق الحجاز من أماكن عديدة داخل شبة الجزيرة

وخارجها ، والى جانب انه كان في مكة والمدينة من كان يقيم بشكل دائم في مكة المكرمة ، ويمارس تجارة البيع والشراء للأقمشة بأنواعها حتى أصبح لهم أماكن معروفه باسم مهنتهم كأسواق القماشين أو البزازين[98].

وطالما وجدت الأقمشة في المدن الحجازية ، فلم يكن هناك مشكلة للخياطين الذين كانوا يشتغلون في الأسواق فيدفعون إليهم القماش لتفصيله مقابل أجرة معلومة ، كما كانوا أحياناً أخرى يستأجرون للعمل وتفصيل الثياب في بيوت الأثرياء وعلية القوم من المجتمع الحجازي [99] . إلى جانب وجود خياطين بدائين لم يكن لديهم الدراية بفن الخياطة وتفصيل الملابس ، إلا أنهم قد يسدون حاجتهم في الخياطة على مستوى واسع فليسوا وهم من طبقة الموالي والعبيد حتى انه ليذكر إن غالبيه الحرفيين في هذه المهنه من تلك الفئات .

والمعروف إن طبقات الموالي والعبيد لم يكونوا من سكان الحجاز الأصليين وإنما قدموا إلى الحجاز خلال الفتوحات الإسلامية المبكرة من مناطق متعددة ومتباينة في ثقافتها وحضارتها ، وهذا مما لاشك فيه أنهم قد عملوا في الحرف والمهن أمثال الخياطة وغيرها ، فأحدثوا أنواعاً من التجدد والتطوير في الحرف التي أصبحوا يعملون فيها مستفيدين من خلفياتهم ومعارفهم التي اكتسبوها من أوطانهم الأصلية [100] ، وكان اهل الحجاز يعتمدون اعتماداً كبيراً على استيراد انواع متعددة من الالبسة من البلاد الاكثر انتاجاً من الحجاز ، ومثل هذه الملبوسات سواء كانت عن طريق التجارة أو عن طريق الهدايا ، ولابد إن تكون قد أثرت في مستوى الإنتاج في الحجاز لأنه بدون شك لن يستورد إلى أسواقها ولن يهدي إلا نوعية جيدة من الألبسة والتي ربما لا يقدر الخياطون في الحجاز عمل مثلها ، علماً إن هناك مصادر عديدة تذكر عدداً

من الألبسة التي كانت تلبس في الحجاز ولكن لم تذكر هل صنعت محلياً ام انه تم استيرادها من خارجها [101].

ثانياً :الصباغة

إن حرفة الصباغة قد تسبق عملية الخياطة وأحياناً أخرى قد تلبها وعملية التقدم أو التأخير تعود إلى أهمية في ما يراد نسجه وخياطته ثم صبغة أو بالعكس ، إلا انه بتوفر كل من حرفتي النسيج والخياطة لابد إن تكون قد وجدت حرفة الصباغة كذلك . ولو إننا نجد الدكتور صالح العلي [102]. يشير في إحدى مقالاته انه بعد إن بذل جهداً في مصادر عديدة محاولاً إن يجد إشارة تدل على وجود مكان للصباغين في المدن الحجازية إلا انه لم يوفق في ذلك وإنني أوافق الدكتور العلي لأنه بعد البحث والتقصي وصلت الى النتيجة نفسها التي قابلها فلم أجد إشارة تدل على وجود مكان وذلك بعكس ما لاحظناه حول عدد من الحرف الأخرى [103]وهناك مصادر أخرى تشير إلى بعض المواد المستخدمة في الإصباغ مثل مادة العصفو [104] والزعفران والنيل والورس[105] ولايدع[106] والتي عرفها أهل الحجاز فأستخدمها بعضهم بل بيعت في أسواق مكة والمدينة علماً إن بعضها يتم استيراده من داخل وخارج شبة الجزيرة وخارجها على حد سواء[107].

ثالثاً :صناعة الجلود والدباغة

اشتهرت الحجاز بقدم دباغة الجلود فيها ، فقد أكد ابن منظور حينما تحدث عن الافيق قائلاً : "وقيل هو ما دبغ بغير القرظ من ادبغه أهل الحجاز مثل الارطئ والحلب والتسلم والطيان الخ..."[108] .

ولعل ذلك يوضح لنا بأن أهل الحجاز كانوا يشتغلون بدباغة الجلود بأنواعها المستعملة عندهم ومن ذلك كله يبدو لنا أيضاً ان صناعة الجلود ودباغتها كانت مهمة عند العرب قبل الإسلام ، حينما اشتهرت بها أماكن متعددة من الجزيرة ، وهي صناعة قامت على أساس إصلاح الجلد ، وإبعاد الصوف والشعر عنه للافادة منه في إغراض نافعة ، ومن أشهر النباتات المستعملة في صناعة الدباغة السلمة [109]، والنسث ذلك النبات طيب الريح والطعمة [110]. حيث إن أكثره ينبت في بلاد الحجاز بينما ذكر البعض الشب في جملة ما كان يدبغ به[111].

وعُرف العرب ايضا بصناعة الأواني الفخارية والزجاجية ، حيث عثر على مصنوعات زجاجية في قرية الفاو ، وصنعت بطرق عدة ، بالضغط أو بالقالب أو بالنفخ ، وحليت بزخارف ملونه باللون الأصفر والأبيض والأزرق والبنفسجي والبني والأخضر[112].

رابعاً :صناعات أخرى

من الحرف والصناعات التي كانت موجودة عند الحجازيين صناعة الفخار إذ تروي بعض الكتب التاريخية انه كان في بعض مدن الحجاز أماكن خاصة ، يمارس فيها صناعة الفخار ، ثم انه كان هناك مناطق معينة في كل من مكة ،والطائف ، يجلب منها المواد الأساسية كالطين وغيره لصناعة الأواني الفخارية [113]، وحرفة البناء ونقش الأحجار كانت متوفرة في المدن الحجازية حتى انه كان هناك من يجيد النقش على الحجارة فيذكر السمهودي [114]، انه كان لبني حرام في المدينة غلام رومي ينقل الحجارة وينقشها ومن يطالع التوسعات المعمارية التي حدثت في الحرم المكي والحرم النبوي خلال القرون الإسلامية الأولى ، يجد انه كان هناك من يجيد حرفة البناء

والنقش . علماً إن من بقوم بهذه الحرفة لم يكن من أهل الحجاز فقط ، وإنما كان يستقدم بعض البنائين والنقاشين والمخططين والمهندسين المعمرة الذين يقومون بتنفيذ بعض المشاريع .

وكذلك كانت صناعة الخصف والحبال كانت من المهن التي امتهنها المجتمع الحجازي ، فكانوا يستخدمون أوراق الأشجار وسعف النخيل في عمل بعض الأثاث المنزلي، كما أن صناعه الحبال والخيوط المتنوعة كانت معروفة ويمارسها بعض السكان ، وقد لا تكون صناعة الحبال من الأشجار فقط ، وإنما كانت تستخدم جلود الحيوانات كالجمال والأبقار في إنتاج أنواع جيدة من الحبال والتي بقوم على صنعها بعض الرجال والشباب في المجتمع الحجازي[115].

ولم تكن الحرف التي عرفها أهل الحجاز قاصرة على ما سبق ذكره ولكن ما تم ذكره في هذه المقالة يعد من أهم الحرف عند الحجازيين ، علماً إن من يطالع كتاب الازرقي الموسوم (إخبار مكة) يجد انه قد ذكر في الفهارس إعداد كثيرة من الحرف التي كانت معروفة عند أهل الحجاز والتي كانت تمارسها بعض الأيدي العاملة الفنية ، حتى صارت هذه الفئات الحرفية لا تعرف إلا باسم ألحرفه التي تزاولها أمثال : الخبازين والغسالين والطباخين وغيرها[116].

إما الرماح فكانت تصنع بذي نمر ، وهو وادي بالحجاز في ديار بني كلاب ، ومن أشهر أنواع الرماح هو الرماح الخطية والتي قد تنسب إلى الخط، وهو موضع باليمامة[117] ، وهناك أنواع أخرى من الرماح صنعها العرب لا يتسع المجال لذكرها .

الخاتمة

حاولت في هذا البحث دراسة الحياة الاقتصادية في الحجاز خلال المدة الممتدة بين سنتي 420– 557 هـ ، وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية :–

١ -لبلاد الحجاز أهمية في نفوس العرب المسلمين وهي مركز استقطاب للقوى السياسية في العالم الإسلامي ، بوصفها مهد الإسلام الأول ، فمنها شع نوره وفيها بيته الحرام وقبر نبيه الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم)ومنها عقدت رايات الفتح لتملأ الأرض خيراً وعدلاً.

٢ -كانت بلاد الحجاز بيد الأشراف من بني الحسن في مكة وبني الحسين في المدينة المنورة وكانت بقية المدن تتبع أمير مكة الذي يعين بدوره ولاته في تلك المدن ومنها الطائف وجدة والسرين وغيرها من المدن ، أما أمراء المدينة المنورة فكانوا يتمتعون باستقلال تام في إدارة شؤون إمارتهم .

٣ -أن فعالية المواصلات البرية ، قد سهلت الطرق التجارية الاتصال بين الحجاز وبين المدن الاخرى وزادت في التبادل التجاري.

٤ -ان التجارة كانت تنشط في الحجاز وكانت تشكل نسبه لاباس بها من النشاطات الاقتصادية الاخرى ، وذلك بسبب العوامل المساعدة التي جعلت من التجارة نشاطاً اقتصادياً ممتهناً ، منها موقع الحجاز الجغرافي ومواسمها الدينية التي جعلتها من اهم مراكز التجارة العالمية في العصور الاسلامية ، فضلاً عن ذلك وجود شريان رئيس من شرايين التجارة العالمية وهو الطريق البري الذي يصل ما بين جنوب الجزيرة وشمالها ومنه تتفرع طرق تتجه صوب الشرق والشمال الشرقي. وفي موازاته شريان رئيس آخر كان له الاثر الكبير في عالم التجارة وهو البحر الأحمر ، زيادة على ذلك فأن المراكب البحرية ، كانت تأخذ طريقها الى مصر واليمن عبر ثغور الحجاز المطلة على البحر الأحمر ، التي اشتهرت بكونها مرافئ معروفة .

٥ –الزراعة والنشاط الزراعي بصورة عامة قد شكل جزءاً مهماً في الحياة الاقتصادية في الحجاز.

٦ –كان للحجاز الدور الفاعل في جذب الكثير من المناطق الاخرى لما تتمع به هذه المنطقة من الامتيازات والخيرات التي جعلتها محط أنظارمختلف المناطق .

•الهوامش

(1) ابن بطوطة ،ابو عبدالله محمدبن عبدالله اللواتي الطنجي(ت 779 هـ)، رحلة ابن بطوطة، تحقيق المنتصر الكناني ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1405 هـ / 1985 م) ، ج 1، ص 188 . مسعود الخزند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، الناشر : الشركة العالمية للموسوعات ش . م . م . ، بيروت ، 2004 م ، ج12 ، ص 349 .

(2) معطي ، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام ، مكتب المدرسة ، دار منهل اللبناني ، بيروت / 2003 م ، ص 72 – 73 .

(3) الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ،356هـ،1269م) الأغاني ، ج18، مطبعة أساس التقدم ، بلا ، ص312 .

(4) أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت 128هـ) ، الخراج ، بيروت ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1990 م ، ص 70 – ص 71 .

(5) البلاذري ، ابو العباس احمد بن يحي بن جابر (ت 279هـ/ 892م) ، فتوح البلدان، عني بمراجعته والتعليق عليه : رضوان محمد رضوان ، القاهرة ، 1959م ، ص68.

(6) الشيباني ، محمد بن الحسن ، (ت 189هـ) ، شرح كتاب السيد الكبير ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1971 – 1972 ، ج3 ، ص ،1012

(7) الشيباني ، الاكتساب في الرزق المستطاب ، تحقيق محمود عرنوس ، مطبعة الأنوار ، ط 1 ، القاهرة ، 1938 م ، ج 1 ، ص 37 .

(8) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 18 – 37 .

(9) ابن سلام ، أبو عبيد القاسم (ت: 224هـ) ، الأموال ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1353 هـ ، ص 281 .

(10) أبو يوسف ، الخراج ص 97 .

(11) ناصر خسرو ، سفر نامة ، رحلة ناصر خسرو القبادياني ، ترجمة وتقديم : د. احمد خالد البدني ، ط 1 ، الرياض ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، (1403هـ / 1981م) ، ص156 .

(12) السيرة تعادل خمسة عشر مثقالا ذهبا ، ناصر خسرو ، المصدر نفسه ، ص159.

(13) المصدر نفسه ، ص160 .

(14) ابــن حبيب ، ابو جعفر محمد بن أمية (ت:245هـ) ، المحبر ، تحقيق : د. ايلزه شتيتر ، المكتب التجاري ، بيروت ، بلا ، ص 253 . كما اقطع الأكاسرة آل عدي العديد من الاقطاعات ، (الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط 5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1967م ، ج2 ، ص 193) ، وامتلك الازد العديد من القطائع في الحيرة ، (ابن منظور ،المصدر السابق ، ج 9 ، ص 312).

(15) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ/889م) : المعارف ، ص 32، السمهودي ، نور الدين علي بن احمد (ت 911هـ) ، وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ، دار احياء التراث ، بيروت ، (1393هـ/ 1973م) ، ج 2 ، ص 280 .

(16) البلاذري ، المصدر السابق ،ص 123 .

(17) ابن الفقيه ، ابو بكر أحمد بن محمد (ت340هـ) ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن ، 1302هـ ، ص 22 ؛ البلاذري ، المصدر السابق ، ص 68 .

(18) السمهودي ،المصدر السابق ، ج 1 ، ص 125 .

(19) قدامة بن جعفر (ت310هـ) ، الخراج وصناعة الكتاب ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، 1981م ، ص93 .

(20) ابن هشام ، أبو محمد بن عبد الملك (ت218هـ) ، السيرة النبوية ، مراجعة وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة ، لا ت ، ج 2 ، ص 577 ؛ البلاذري ، المصدر السابق ، ص 103 .

(21) الأصفهاني ، المصدر السابق، ج 6 ، ص 92 –93 .

(22) علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1378هـ/1959م ، جـ 7 ، ص 156 .

(23) نور، ياسر احمد ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية من القرن الخامس حتى القرن السابع الهجري ، (د . ط) ، ص 194 – 196 .

(24) الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب (350هـ)، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1989 ، ص 153 .

(25) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ/957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دققها وضبطها : يوسف اسعد داغر ، ط6 ، دار الاندلس للطباعة ، بيروت ، 1404هـ/1984م ، ج2 ، ص 162 .

(26) زيدان ، جرجي ، العرب قبل الإسلام ، تحقيق :د. حسين مؤنس ،دار الهلال، بلا.م ، 1968، ص 170 .

(27) نورة ، عبد الله العلي النعيم ، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي ، الرياض ،1992 م ، ص 111 – 112 .

(28) معطي ، مرجع سابق ، ص 99 .

(29) المبرد ،محمد بن يزيد (ت،285هـ،898م) الكامل في اللغة والآداب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ،1985م ،ج3، ص 25 .

(30) ابن المجاور ، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد ، (ت 1391 هـ) صفه بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، ليدن ، 1951 م، ص 217 – 218 .

(31) الاصطخري ، ابراهيم بن محمد (ت350هـ) ، المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العال ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ،1961 ، ص 23 ؛ ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص 28 – 29

(32) الحموي ، الشيخ الامام شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ/1228م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1397هـ/1977م ، ج5 ، ص 277

(33) ابن منظور المصدر السابق ، ج11 ، ص 652 .

(34) سورة البقرة الآية 266 ، سورة الأنعام ، آية 99 ، سورة الإسراء ، آية 91.

(35) نخل : منزل من منازل بني ثعلبة على مرحلتين من المدينة ، وقيل موضع بالحجاز من ارض غطفان للتوسع ، ينظر : الحموي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 276 .

(36) نخلة اليمانية : واد يصب فيه فرعان ، عسكرت فيه اهوزان يوم حنين ينظر : الحموي ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص 277 – 278

(37) نخلة : واد من الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين . للتوسع ينظر : الحموي ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص 277 – 278 .

(38) الجرشي : هو ذو لون ابيض مائل الى الخضرة ، ينسب إلى جوش وهي مخلاف في اليمن للتوسع النظر : ابن منظور، المصدر السابق، ج6،ص 272 .

(39) الغربيب : نوع من العنب بالطائف شديد السواد وهو من أجود العنب وأرقهُ واشد سوادا ينظر : ابن منظور، المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 647 .

(40) الحمنان : عنب بالطائف اسود مائل إلى الحمرة صغير الحب ينظر : ابن منظور ،المصدر نفسه ، ج 13 ، ص 114

(41) علي ، جواد ، المرجع السابق، ج7 ، ص 68

(42) المرجع نفسه ، ص 68 .

(43) المرجع نفسه ، ج7 ، ص 68 .

(44) حتي ، فيليب ، العرب تاريخ موجز ، ط3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1965م ، ج1 ، ص 20.

(45) المرجع نفسه ، ص 214 – 217 .

(46) الغنيم ، عبد الله يوسف ، جزيرة العرب ، في كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري ، دار ذات السلال ، الكويت، 1977 م، ص 121 .

(47) سورة التين، الآية (1 ، 2، 3).

(48) علي ، جواد ، المرجع السابق، ج1 ، ص 147 .

(49) الملاح ، هاشم ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، دار النفائس ، بيروت، د.ت ، ص 12 .

(50) ناصر خسرو ، المصدر السابق ، ص141

(51) ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي (ت 367هـ) ، صورة الأرض ، ط2 ، مطبعة بريل ، منشورات دار مكتبة الحياة ، لبنان ، لا ت ، ص 40 .

(52) دراز ، عمر عبد المجيد ، المراعي ووسائل تحسينها في المملكة السعودية ، الرياض، 1385 هـ ، ص 32 .

(53) وهبة ، حافظ ، جغرافية جزيرة العرب في القرن العشرين ، دار الطليعة ، ط 5 ، بيروت ، 1963 ، ص 45 .

(54) ابن سلام ، المصدر السابق، ص 124 .

(55) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص 297

(56) وهبة ، المرجع السابق ، ص 63 .

(57) يحيى ، لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة (مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام) ، ط2 ، دار النهضة العربية للطباعة ، بيروت ، 1979م ، ص 293 – 294 .

(58) نور ، المرجع نفسه ، ص 202 – 203 .

(59) النابلسي ، عبد الغني بن إسماعيل (ت1143هـ)، الحقيقة والمجاز ، ص447 .

(60) علي ، جواد ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 198 .

(61) المرجع نفسه ، ج7 ، ص 113 - 117.

(62) الطبري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 477 – 478 .

(63) ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى المغربي ، الجغرافيا ، ص 117 ؛ الحميري ، محمد عبد المنعم (ت727هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، ط 1 ، بيروت ، 1975م ، ص 245.

(64) ابن جبير ، المصدر السابق ، ص 139.

(65) المصدر نفسه ، ص 142.

(66) كحالة ، عمر رضا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، مراجعة : احمد علي ، القاهرة ، (1384هـ – 1964م) ، ص 133.

(67) ابن جبير ، المصدر السابق ، ص 89- 93 . 68)

(68) حتي ، المرجع نفسه ، ص81 . وينظر مصدره .

(69) المرجع نفسه ، ص 89،93.

(70) المرجع نفسه ، ص86 .

(71) المرجع نفسه ، ص86 .

(72) فيد : بليدة صغير ة تقع في بلاد طيء في منتصف الطريق بين مكة والكوفة ، وتكمن اهمية فيد الى جانب ذلك انها تعد المكان العامر الوحيد على هذا الطريق ، ولهذا فهي كما يقول ياقوت : "مغوثة للحاج في مثل ذلك الموضع المنقطع" . الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص282 .

(73) ابن جبير ، المصدر السابق ، ص86 .

(74) الا ان مناخ مكة في العام الذي حج فيه ابن جبير كسر هذه القاعدة ، فبدا هواؤها طيباً ، وانكسرت حدة سمومها ، وفترت حمارة قيظها. ابن جبير ، المصدر نفسه ، ص106 .

(75) المصدر نفسه ، 86 .

(76) ينظر: الفاسي ، ابو الطيب تقي الدين محمد بن احمد المالكي (ت 832هـ/1413م) ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ،1956، ج2 ، ص265 .

(77) الفيضان هو زيادة المياه عن مجاريها وخروجها عن حدودها ، وانجرافها بسرعة فائقة ، ويحدث الفيضان بسبب الزيادة الكبيرة في كميات الامطار المتساقطة ؛ (شحاتة ، حسن احمد ، البيئة والمشكلة السكانية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط1 ، القاهرة ، (بلا . ت))، ص108 .

(78) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (597هـ ،1201م) صفة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري و محمد رواس قلعجي ، المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ،1355هـ ،1936م ،ص 198.

(79) المقريزي ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت 845هـ / 1441م) ، السلوك ، تحقيق: جمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1955 ، ج 3 : ص10 ؛ ابن فهد ، النجم عمر بن فهد (ت 885هـ) ، إتحاف الورى بأخبار ام القرى ، القاهرة ، 1404هـ / 1983م ، ج 3 ، ص265.

(80) المقريزي ، المصدر نفسه ، ج2 : ص12 ؛ ابن فهد ، المصدر نفسه ، ج3 ، ص141 .

(81) الفاسي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : فؤاد سيد ، القاهرة ،1958 ، ج1 ، ص209 ؛ المقريزي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص97 ؛ ابن فهد ، المصدر السابق ، ج3 ، ص302 – 303 .

(82) ذكر ناصر خسرو ان سكان مكة كان عددهم – عند وجوده فيها سنة 442هـ (2500) نسمة ، منهم (500) من المجاورين ، كما اشار الى ان مكة تعرضت في هذه السنة لقحط شديد بحيث غادر البلاد

بسبب ذلك كثير من أهلها والمجاورين من شدة الجوع وعموم الجدب ، (سفر نامة ، 140) ، وهذا – بلاشك – سيمتد اثره في التركيبة السكانية في مكة خلال القرن السادس الهجري .

(83) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج2 ، ص435 .

(84) الزيعلي ، احمد عمر ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، مكة (301 – 487 هـ) الرياض ، عمادة شؤون المكتبات في جامعة الرياض ، 1401 هـ - 1981م ، ص 151 .

(85) ذكر ناصر خسرو ان نسبة المجاورين والغرباء في مكة بلغت في منتصف القرن الخامس الهجري خُمس سكان مكة تقريباً . (ناصر خسرو ، المصدر السابق ، 140).

(86) ينظر : السنيدي ، عبد العزيز راشد ، المجاورون في مكة واثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (570 – 660هـ) ، مكة المكرمة ، جامعة ام القرى ، الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الاسلامية لعام (1426هـ / 2005م) ، المحور الثالث ، 2 ، ص10–23 ؛ العبيكان ، طرفة عبد العزيز ، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة خلال القرنين السابع والثامن للهجرة ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، (1416هـ / 1996م) ، ص231 ، منى حسن المشاري ، المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي ، (رسالة ماجستير) ، الرياض ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، 1409هـ ، ص340.

(87) خسرو ، المصدر السابق ، ص139 .

(88) عن صناعة الجلود وتطورها في مكة ، ينظر : الزيعلي ، المرجع السابق ، ص189–192 .

(89) اشار ابن جبير الى وجود بعض البساتين في مكة خاصة بالزاهر والمسفلة ، المصدر السابق ، ص 89–93 ،

(90) حركات ، ابراهيم ، النشاط الاقتصادي الاسلامي في العصر الوسيط ، الدار البيضاء ، مطابع افريقيا الشرق ، 1996 م ، ص 294 .

(91) ابن جبير ، المصدر السابق ، ص 139– 142 ، ابن فهد ، المصدر السابق ، ج3 ، ص547 .

(92) ابن فهد ، المصدر نفسه، ج3 ، ص90 .

(93) ينظر: الزهراني ، ضيف الدين ، اسعار المواد الغذائية ،مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، بلا .ت ، ص 69–91 .

(94) المحجوب ، قرة العين في اوصاف الحرمين ، (مخطوطة) (بايس ، المكتبة الوطنية ، رقم 1203 ،عربي ، ق53أ.

(95) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج2 ، ص 435 ؛ ابن فهد ، المصدر السابق ، 3 ، ص337 .

(96) ابن جبير ، المصدر السابق ، ص 79– 80 .

(97) المصدر نفسه ، ص 94 – 114 .

(98) الكتاني ، محمد بن جعفر (ت:1345هـ) ، التراتيب الإدارية والحكومة النبوية ،ج2 ، القاهرة ،1326هـ ، ص32

(99) الازرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت250هـ)، اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : رشدي الصالح ملحس ، ط9 ، مكة المكرمة : دار الثقافة ، 1421هـ / 2001م ،ج2 ص 92 ، 95 ، 97.

(100) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ) ، المقدمة ، ج2، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بلا . ت ، ص 309–310 .

(101) الأصفهاني ، المصدر السابق، ج6 ، ص 219 ، ج19 ، ص 146 – 164 (102) جريس ، غثيان بن علي ، بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل ق 3 هـ مجلة المؤرخون العرب، العدد الثاني ، المجلد الأول / مارس / 1994 م) ص 73 ، 100.

(103) العلي ، صالح احمد ، مكة وعلاقتها الخارجية ،مجلة المجمع العلمي العراقي ،بغداد ، 1970 م ، ص 155 ؛ جريس ، غثيان بن علي ، ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة ، ص 160، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، ج1 ، ص 377 وما بعدها .

(104) ابن جبير ، المصدر السابق ، ص 89 – 99 .

(105) المصدر نفسه ، ص89 .

(106) المصدر نفسه ، ص 99 .

(107) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 183 .

(108) جريس ، غثيان بن علي ، تاريخ التعليم في منطقة جدة (1354 هـ – 1934م) ، دار البلاد للطباعة والنشر ، 1416 هـ – 1995م ، ج1 ، ص 51 ، وللمؤلف نفسه ، دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودي ، جدة، دار البلاد للطباعة والنشر ، (1421 هـ – 2000م) ، ص 61 – 84 ..

(109) السمهودي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 211

(110) جريس ، تاريخ التعليم في جدة ، ص 69 .

(111) الحموي ، المصدر السابق، ج 5 ، ص 304

(112) علي ، جواد ، المرجع السابق، ج8 ، ص 124 .

(113) ابن منظور ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 6 (مادة أفق) .

(114) السلمة : شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها ، ويسمى ورقها القرط وتكون لها زهرة صفراء فيها حبه خضراء طيبة الريح وتؤكل في الشتاء ، وتحضر في الصيف إذا دبغ الأديم بورقة السلم فهو مسلوم ، ينظر :ابن منظور ، المصدر السابق ، ج12 ، ص296 ،(مادة سلم).

(115) الفيروز أبادي ، ، محمد بن يعقوب (823هـ) ، القاموس ، دار اليمامة للبحث والترجمة ، الرياض ، 1969م ، ج1 ، ص 174 ؛ الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ /1790م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، بلا . ت ، ج1 ، ص 627 .

(116) الزبيدي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 627 .

(117) المصدر نفسه ، ج1، ص39 .

•المصادر والمراجع :

_القرآن الكريم .

أ- المخطوطات

١. المحجوب ، قرة العين في اوصاف الحرمين ، (مخطوطة) ، بايس ، المكتبة الوطنية ، رقم 1203 ،عربي .

ب- المصادر

١. ابن الأثير، ابو الحسن علي بن محمد الجزري (630هـ ، 1233م) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ،بلا. ت .

٢. الازرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت 250هـ)، اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : رشدي الصالح ملحس ، ط9 ، مكة المكرمة : دار الثقافة ، 1421هـ / 2001م .

٣. ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت 779هـ) (رحلة ابن بطوطة) ، تحفة النضار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ط4 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1405هـ / 1985م .

٤. البلاذري ، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/ 892م) ، فتوح البلدان ، عني بمراجعته والتعليق عليه : رضوان محمد رضوان ، القاهرة ، 1959.

٥. ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (597هـ ،1201م) صفة الصفوه ، تحقيق محمود فاخوري و محمد رواس قلعجي ، المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ،1355هـ ،1936م .

٦. ابن جبير، محمد بن أحمد أبو الحسين(ت624هـ) ، رحلة ابن جبير ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لا ت .

٧. ابـن حبيب ، ابو جعفر محمد بن أمية (ت: 245هـ) ، المحبر ، تحقيق : د. ايلزه شتيتر ، المكتب التجاري ، بيروت ، بلا ت .

٨. ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي (ت 367هـ) ، صورة الأرض ، ط 2 ، مطبعة بريل ، منشورات دار مكتبة الحياة ، لبنان ، لا ت .

٩. الحربي ، ابراهيم بن اسحاق (ت285هـ) ، المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، مطبعة المتنبي ، بيروت ، (1389هـ/1969م) .

١٠. الحموي ، الشيخ الامام شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ/1228م) . معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1397هـ/1977م.

١١. الحميري ، محمد عبد المنعم (ت727هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، ط 1 ، بيروت ، 1975 .

١٢. خسرو ، ناصر ، سفر نامة ، رحلة ناصر خسرو القبادياني ، تحقيق : يحيى الخشاب ، ط 3 ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1983 .

١٣. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ) ، المقدمة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بلا . ت.

١٤. ديوان عنترة ، تصحيح : امين سعيد ، المطبعة العربية ، مصر ، بلا.ت

١٥. الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ /1790م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، بلا . ت .

١٦. ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت230هـ)، الجغرافيا ، تحقيق : إسماعيل العربي ، ط1 ، بيروت ، 1970 .

١٧. ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى المغربي ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق خوان فرنيط ، تطوان ، 1958 .

١٨. ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، (ت224هـ) ، الأموال ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1353 هـ .

١٩. السمهودي ، نور الدين علي بن احمد (ت911هـ) ، وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى ، دار احياء التراث ، بيروت، (1393هـ/ 1973م) .

٢٠. السيوطي ، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن الشافعي (ت911هـ) ، تاريخ الخلفاء ، دار الجيل ، بيروت ، لا ت .

٢١. الشيباني ، محمد بن الحسن ، (ت 189هـ) ، شرح كتاب السيد الكبير ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1971 – 1972 .

– الاكتساب في الرزق المستطاب ، تحقيق محمود عرنوس ، مطبعة الأنوار ، ط1 ، القاهرة ، 1938 م .

٢٢. الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (356هـ) ، البرق الشامي ، تحقيق : فالح حسين ، مؤسسة عبد الحميد ، ط1 ، شومان ، عمان . بلا. ت .

– الأغاني ، ج16، مطبعة أساس التقدم ، بلا . ت .

٢٣. الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م) . تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1967م.

٢٤. الاصطخري ، ابراهيم بن محمد (ت350هـ) ، المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العال ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 1961 .

٢٥. الفاسي ، ابو الطيب تقي الدين محمد بن احمد المالكي (ت 832هـ/1413م) شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1956م .

٢٦. ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : فؤاد سيد ، القاهرة ، 1958 .

٢٧. ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732هـ/ 1331م) . تقويم البلدان ، تصحيح : رينود وماك كوكين دسيلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840م .

٢٨. الفيروز ابادي ، محمد بن يعقوب (823هـ) ، المغانم المطابة في اخبار طابة ، دار اليمامة للبحث والترجمة ، الرياض ، 1969م .

٢٩. ابن الفقيه ، ابو بكر أحمد بن محمد (ت340هـ) ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن ، 1302هـ .

٣٠. ابن فهد ، النجم عمر بن فهد (ت 885هـ) ، إتحاف الورى بأخبار ام القرى ، القاهرة ، 1404هـ / 1983م .

٣١. قدامة ، قدامة بن جعفر (ت310هـ) ، الخراج وصناعة الكتاب ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، 1981م ، ص93

٣٢. ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ/889م): المعارف ، دار الكتب العلمية ، بيروت . 1407هـ/1987م .

٣٣. الكتاني ،محمد بن جعفر (ت1345هـ) ، التراتيب الإدارية والحكومة النبوية ،ج2 ، القاهرة ،1326هـ .

٣٤. المبرد ،محمد بن يزيد (ت285هـ) الكامل في اللغة والآداب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ،1985م .

٣٥. المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ/957م) . مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دققها وضبطها : يوسف اسعد داغر ، ط6 ، دار الاندلس للطباعة ، بيروت ، 1404هـ/1984م .

٣٦. المقدسي ، ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر (ت 375هـ) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، باعتناء دي غويه ، مطبعة ابريل ، لندن ، 1906م .

٣٧. المقريزي ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت 845هـ / 1441م) المذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق: جمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة1955 م.

٣٨. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت 711هـ/1311م) ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1375هـ/1956م .

٣٩. الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب (350هـ) ، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1989 م.

٤٠. ابن هشام ، أبو محمد بن عبد الملك (ت218هـ) ، السيرة النبوية ، مراجعة وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة ، لا ت.

٤١. اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت292هـ) ، البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1891م.

٤٢. أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت 128هـ) ، الخراج ، (بيروت دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1990 م) .

جـ - المراجع

١. حركات ، ابراهيم ، النشاط الاقتصادي الاسلامي في العصر الوسيط ، الدار البيضاء ، مطابع افريقيا الشرق ، 1996 م ، ص 294 .

٢. جريس ، غيثان بن علي ، تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى ، مجلة العصور ، 1414هـ / 1994 م .

٣. دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودي ، دار البلاد للطباعة والنشر ، جدة ، (1421 هـ – 2000م) .

٤. بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل ق 3 هـ ، مجلة المؤرخون العرب ، 1994م.

٥. تاريخ التعليم في منطقة جدة (1354 هـ – 1934م) ، دار البلاد للطباعة والنشر ، 1416 هـ – 1995م.

٦. ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة .

٧. الدباغ ، مصطفى مراد ، الجزيرة العربية ، دار الطليعة ، بيروت ، (1382هـ / 1963م) .

٨. دراز ، عمر عبد المجيد ، المراعي ووسائل تحسينها في المملكة السعودية ، الرياض ، 1385 هـ .

٩. زيدان ، جرجي ، العرب قبل الإسلام ، تحقيق :د. حسين مؤنس ،دار الهلال، بلا.م ، 1968م.

١٠. الزهراني ، ضيف الدين ، اسعار المواد الغذائية ،مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، بلا .ت ، ص 69– 91 .

١١. الزيعلي ، احمد عمر ، مكة وعلاقتها الخارجية ، (301 – 487 هـ) الرياض ، عمادة شؤون المكتبات في جامعة الرياض ، 1401 هـ – 1981م

١٢. السنيدي ، عبد العزيز راشد ، المجاورون في مكة واثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (570 – 660هـ) ، مكة المكرمة ، جامعة ام القرى ، الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الاسلامية لعام (1426هـ / 2005م) .

١٣. السيوطي ، حسن ، المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط 1 ، القاهرة ، 1387هـ / 1967م

١٤. شحاتة ، حسن احمد ، البيئة والمشكلة السكانية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط1 ، القاهرة ، (بلا . ت) ، ص108 . .

١٥. العبيكان ، طرفة عبد العزيز ، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة خلال القرنين السابع والثامن للهجرة ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، (1416هـ / 1996م) .

١٦. علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1378هـ/1959م .

١٧. العلي ، صالح احمد ، مكة وعلاقتها الخارجية ،مجلة المجمع العلمي العراقي ،بغداد ، 1970 م.

١٨. الغنيم ، عبد الله يوسف ، جزيرة العرب في كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري ، دار ذات السلال ، الكويت، 1977 م

١٩. فيليب ، حتي ، العرب تاريخ موجز ، ط3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1965م.

٢٠. كحالة ، عمر رضا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، مراجعة : احمد علي ، القاهرة ، (1384هـ – 1964م).

٢١. مسعود ، الخزند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، الناشر : الشركة العالمية للموسوعات ش . م . م ، بيروت ، 2004.

٢٢. معطي ، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام ، مكتب المدرسة ، دار منهل اللبناني ، بيروت ، 2003.

٢٣. المناوي ، محمد حمدي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، مصر ، 1970.

٢٤. النابلسي ، عبد الغني بن إسماعيل (ت1143هـ)، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدي ، القاهرة ، 1986 .

٢٥. نورة ، عبد الله العلي النعيم ، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي ، الرياض ، 1992 م .

٢٦. نور، ياسر احمد ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية من القرن الخامس حتى القرن السابع الهجري ، (د . ط) .

٢٧. وهبة ، حافظ ، جغرافية جزيرة العرب في القرن العشرين ، دار الطليعة ، ط5 ، يسروت ، 1963

٢٨. يحي ، لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة (مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام) ، ط2 ، دار النهضة العربية للطباعة ، بيروت ، 1979م .

د - الرسائل الجامعية

١. المشاري ، منى حسن ، المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي ، (رسالة ماجستير) ، الرياض ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، 1409هـ .

Economic life in the land of Hijaz From year (420 AH - 557 AH)

Researcher . Firas Zbun Shalash Jizani

(Abstract Research)

Praise be to Allah the Merciful, Praise be to him what has guided us and blessed, with thanks for what Olanna, Akram, and prayed God to Muhammad, the Seal of the Prophets and The God of the good and virtuous, and to his family Almentajabin.

But after.....Eager hearts of Muslims in various parts of the earth to the Holy Land where the Kaaba in Mecca, the home of the Holy Prophet in Medina Perhaps these facts sufficient incentives for research in the history of the Hijaz through the different Islamic eras. But the lack of interest in historical sources to search in the aspects of economic life of the Hijaz throughout history except for signals scattered here and there are not free from the impact of the political aspects that have passed the Hijaz, it will mention the Hijaz only in respect of caravans of pilgrims and of the Holy Mosque in Mecca and the Kaaba pushed me to study the economic life in the Hijaz in the reign of the Fatimid caliphate stretching between (420 e to 557 e) is the subject of omitted in-depth study a lot of studies and research did not refer to its various aspects, but a bit over the sources of the study of Islamic history, as well as being a subject of vital revolve around several questions requiring answers to the minute solved the problems documented by information from sources that dealt with this topic.